نموذج فلاديمير بروب (التحليل المرفولوجي/ الوظائفي)

يعد فلاديمير بروب vladimir propp من أبرز رواد الشكلانية، ومن المؤسسين والمنظرين الأوائل للدراسات البنيوية، والسردية؛ حيث تهدف أبحاثه إلى "بلورة مشروع يهتم بالبحث عن بنية مفترضة للخرافة بخاصة، والمحكي بعامة، وتجاوز الدراسات التقليدية التي حصرت اهتمامها في الجمع والتصنيف استنادا إلى المواضيع" فكان لمشروعه دور بارز في توجيه الدراسات الأدبية في القرن العشرين إلى تحري العلمية، والابتعاد عن الحدس والاعتباطية، والالتزام بدراسة القواعد الشكلية.

حيث اشتغل في كتابه مورفولوجيا القصة على الجانب المرفولوجي للشخصية الحكائية، وأشار في نفس الكتاب إلى أن القصد من كلمة مورفولوجيا هو "دراسة الأشكال، وتعني في علم النبات دراسة الأجزاء المكونة للنبات، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض، وعلاقة كل جزء منها بالمجموع، وبشكل آخر، فإنها تعني دراسة بنية النبتة" فيرى من خلال هذا التحديد أن الحكاية شأنها شأن النبتة أو الكائن العضوي تخضع لقانون البنية فهي في نظره هيكل وبنية مركبة يمكن تفكيكها واستنباط العلاقة التي تربط مختلف وظائفها، في مسار تتباعي معين.

وقد أكد صلاحية مفهوم مصطلح المرفولوجيا في الحقل الأدبي (الأدب الشعبي) قائلا " ولكن أحدا لم يخطر له في البال أية إمكانية لوجود مفهوم (مورفولوجية القصة) أو إطلاق تعبير من هذا النوع، وذلك على الرغم من ان دراسة الأشكال ووضع القوانين التي تحكم البنية أمر ممكن في ميدان القصة الشعبية والفلكلورية، وبنفس الدقة التي تضاهي مورفولوجيا التشكيلات العضوية."

ينطلق بروب في دراسته من مجموعة من الأهداف يمكن حصرها في مايلي:

- استكشاف العناصر المشتركة للمتن المراد دراسته.(هو في قراءته للحكاية العجيبة عمل على مقارنة الأبنية الحكائية لهذه الحكايات فيما بينها)
- السعي إلى عزل الثابت عن الطارئ الذي لا يعد إلا تنويعا لبنية واحدة (نقصد بالطارئ المتغير)
- رفض المقاربات التاريخية.

- ورفض التصنيفات القائمة على المواضيع.

حدد بروب أسس وقواعد منهجه في قوله " سنعمد إلى المقارنة بين موضوعات هذه القصص ومن أجل ذلك سنقوم بعزل الأجزاء المكونة للقصص العجيب متبعين مناهج خاصة، ثم نتبع ذلك بمقارنة القصص حسب أجزائها المكونة، وستكون نتيجة هذا العمل دراسة في الشكل une morphologie"

وقد استمد منهج الدراسة من حالات مشتركة للخرافة أو الحكاية العجيبة الروسية

1- يمنح الملك أحد الشجعان نسرا، يحمل النسر الشجاع إلى مملكة أخرى.
2- يمنح الجد سوتشينكو حصانا، يحمل الحصان سوتشينكو إلى مملكة أخرى.
3- يمنح أحد السحرة إيفان زورقا، يحمل الزورق إيفان إلى مملكة أخرى
4- تمنح الملكة إيفان خاتما، يخرج من الخاتم رجال أقوياء يحملون إيفان إلى مملكة أخرى.

في الحالات السابقة نجد قيما ثابتة وأخرى متغيرة، وما يتغير هو أسماء الشخصيات (وصفاتها في نفس الوقت) وما لا يتغير هو أفعالها action أو وظائفها fonctions. ويمكن أن نستخلص من ذلك أنه غالبا ما تُسند القصة نفس الأفعال إلى شخصيات مختلفة. وهذا ما يسمح لنا بدراسة القصص انطلاقا من وظائف الشخصيات.

وقد عد بروب **الوظيفة** الوحدة الأساسية لقياس النصوص وللكشف عن بنيتها الداخلية، والمقصود بالوظيفة أو الوظائف les fonctions هو كل "ما تقوم به الشخصية من فعل محدد من منظور دلالته في سير الحبكة"

وصل بروب إلى أن عدد الوظائف في كل خرافة محدود لا يتعدى 31 وظيفة فقد تكون أقل في بعض الخرافات لكنها لا تزيد على واحد وثلاثون مطلقا وهي على النحو الآتي:

وسمى بروب النص الذي يحتوي على كل الوظائف بالنص المثالي، والوظائف داخل النص خاضعة لمنطق معين ولترتيب دقيق بحيث لايجوز ان تسبق وظيفة أخرى، أو ان تتأخر عنها، ولا تأتي في مكانها، كما أنه ليس حكما مطلقا مثالية النصوص فكثير منها لا يحتوي على كل الوظائف، وهذا ليس بعيب فقد تغيب بعض الوظائف، ولكن الأكيد أن بنية أي حكاية لاتقوم إلا على الوظائف التي تترجم حركات الشخصيات والأشياء والرموز. وتصب هذه الوظائف في سبع دوائر تتكتل حولها سبع شخصيات.

عمد بروب إلى تحديد سبع شخصيات تتوزع بينها تلك الوظائف، وهي عنده كالآتي:

1- دائرة فعل المعتدي: وتجتمع لديه وظائف الإساءة والقتال وأشكال الصراع ضد البطل.
2- دائرة فعل الواهب: ويتجسد دوره في منح البطل الآداة/ الوسيلة والسعي إلى إيصالها إليه.
3- دائرة فعل المساعد: ويتضمن، تنقل البطل في المكان، النجدة من خلال المطاردة وإنجاز المهمة الصعبة.
4- دائرة فعل الأميرة: ومنها تصدر المطالبة بإنجاز مهمة صعبة، فرض علامة، التعرف إلى البطل الحقيقي ومعاقبة البطل المزيف.
5- دائرة فعل المرسل: ويقتصر دوره في إرسال البطل.
6- دائرة فعل البطل: وتحصر لديه وظائف الانطلاق بهدف البحث، رد الفعل على مطالب الواهب والزواج.
7- دائرة فعل البطل المزيف: ويمتاز دوره في اعتماد وظائف، رد فعل مطالب الواهب، الدعاوى الزائفة.

يبدو أن كل دائرة مقرونة بوظائف محددة تتخذ أسمائها من الأفعال (الواهب، المساعد، المرسل، البطل، المعتدي، البطل المزيف) إلا الأميرة فإنها تذكر بصفتها وعادة ما تقرن بأبيها بوصفه مقترح المهام/ الحكاية.

تصبح تلك الشخصيات على الرغم من عدم إلزامها بأي صفة مرتبطة ببعدها الفيزيولوجي أو الاجتماعي، تابعة للوظائف ولاحقة بها.

وخلاصة القول إن بروب قد أدرك في مرحلة متقدمة جدا أهمية فعل الشخصية على الرغم من إغفاله أهمية تحوله وتغيره، وذلك عندما حصره في إحدى وثلاثين وظيفة، وقد تلقى جراء ما أغفله في دراسته الشخصية الحكائية مجموعة من الانتقادات أهمها:

-إقصاء مضمون الفعل.

-اعتباره الوظيفة عنصرا أساسيا في السرد، أي اعتبار ما تفعله الشخصية أهم من هويتها وصفاتها.

-لم يذكر بروب الحد الأدنى من الوظائف، أما قوله إن تتابع الوظائف واحد دائما وفي كل الحالات فهو غير مبرر، وقد صرف هو نفسه بعض الاستثناءات ببساطة شديدة. كما أنه غير تعريفه للوظيفة حسب نتائجها ومكانها في تسلسل الحكاية فمثلا قد يتسلم البطل آداة سحرية عند ميلاده، أو في بداية بحثه أو حتى قبل إنجاز عمله البطولي.

-تلقى بروب الهجوم على رأيه فيما هو ثابت ومتغير في الحكاية الخرافية فالعناصر الثابة كما يرى هي أعمال أو وظائف الشخصيات أما الشخصيات نفسها فهي متغيرة، ولا يمكن الركون إليها في أي تحليل مرفولوجي، ولكن اختيار ما هو ثابت وما هو متغيريعتمد على نظرة الباحث إذ يمكنه أن يعتبر الشخصيات كثوابت وأفعالها كمتغيرات أو العكس.

وقد كانت هذه الانتقادات منطلقا لدراسات جديدة حاول فيها أصحابها استيفاء جوانب النقص والغموض في منهج بروب وتقويمه، ولعل أهم هذه الدراسات هي ماقدمه كل من ليفي شتراوس وكلود بريمون وغريماس وبارت....الخ

ملاحظة:

تمّ اختيار القصة الشعبية بقرة اليتامى وتطبيق التحليل الوظائفي عليها في حصة الأعمال الموجهة مع الفوج 2 دراسات أدبية

أمّا قصة السابعة صغرونة فكانت كمثال تطبيقي في المحاضرة للفوجين الأول والثاني دراسات أدبية